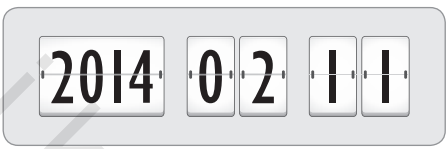

الحادي عشر من شباط/فبراير هو يوم ميلادي، فوجئت إذ وصلتني اثنتا عشرة وردة ضاحكة ذات سيقان طويلة، كم هي لطيفة ! لم أتلقَّ أي ورود منذ رحيل زوجي، من ذا الذي يمكن أن يكون قد أرسلها؟

فتحت البطاقة الصغيرة المرفقة بالورود، وكدت أقع حين قرأت: ميلاد سعيد جدًّا، جدًّا، من هيلاري. أنا سعيدة بأنك ولدت. تأثرت كثيرًا؛ يا لها من امرأة عاقلة!

لدى وصولها إلى جلستنا قلت لها: شكرًا جزيلًا على الوردات يا هيلاري، غير أنك أخطأت، يفترض في المرضى ألا يقدموا أي هدايا لمحلليهم.

علقتْ مع ابتسامة: لا أمتثل للقواعد إلا إذا لاءمتني.

سألتها: كيف عرفت تاريخ ميلادي؟

قالت وهي تغمز: اطمئني! عندي أساليبي، كفِّي عن ذلك وإلا فستعرفين كل شيء عني، قالت وراحت تزيد من الكلام عن أيامها في مجلس الشيوخ.

التماسي لعضوية مجلس الشيوخ قوبل بشيء من الريبة، غير أنني تمكنت من كسب الناخبين، وبعد أن أصبحت عضوة بدأ حتى الجمهوريون الذين توقعت

أنهم سيكرهوني يكتشفون أن بوسعنا أن نتعاون، وراحوا يحترمونني وإن على مضض.

في السنة الأولى، فيما أنا عاكفة على فهم ولايتي الجديدة ومنصبي الجديد، حاولت إبقاء سقفي العام منخفضًا ريثما أستكمل بناء العلاقات مع أعضاء الحزبين كليهما، كذلك أردت تجنب سيركات وسائل الإعلام التي سبق لي أن خبرتها وأنا سيدة أولى، التحقت بركب أعضاء متدينين عن طريق التحول إلى شريكة منتظمة في جماعة الصلاة بمجلس الشيوخ التي وجدتها بالغة الطمأنة في زحمة المجلس الزاخر بالهرج والمرج.

فرحت كثيرًا إذ انتخبت من جديد في عام 2006م، ومع حلول تشرين الثاني/نوفمبر عام 2007م كنت متمتعة باستحسان (60%) لأدائي.

ثم قالت: لعل إنجازي الأكثر أهمية كان إنجازًا لا يعرف عنه شيئًا سوى عدد قليل جدًّا من الناس. (راحت تعاين أظافر يدها). أحيانًا حين تقدمين خدمة استثنائية الجودة للناس، تشعرين بالخجل إذا تحدثت عن الأمر.

ابتسمتُ وقلت: أعرف ما تعنينه يا هيلاري.

استأنفت هيلاري الكلام قائلة: بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول عام 2001م المرعبة، سارعت إلى مساعدة النيويوركيين بتوفير التمويل لجهود الاستشفاء والإصلاح والتحسينات الأمنية الإضافية في الولاية، نجحنا؛ كبير سيناتوري نيويورك تشارلز شومر وأنا، بهدوء في تأمين (21,4) مليارًا من الدولارات لتمويل إعادة تنمية مركز التجارة العالمي، كذلك اضطلعت بدور قيادي في تقصي الشؤون الصحية لأوائل متصدي أحداث 9/11، وأيدت تحسين المكاسب الصحية لقدماء المحاربين.

أومأت؛ كانت جديرة بالاعتزاز بإنجازاتها ومحقة أيضًا في أن كثيرين بمن فيهم أصحابها الحميمين، لم يكونوا قد اطلعوا على جهودها.

قالت هيلاري: على الرغم من أنني تعرضت لوابل من النيران جراء الأمر، ربما حتى نيرانك أنت، فإنني كنت شديدة التأييد لتدخل الولايات المتحدة العسكري عام 2001م في أفغانستان، بذريعة أن ذلك كان فرصة لمحاربة الإرهاب مع العمل في الوقت نفسه على تحسين حياة النساء الأفغانيات اللواتي كن يرزحن تحت كابوس الحكم الطالباني، مازلت أعتقد أنني كنت على صواب.

بالمثل أقدمت، رغم أن بعضهم انتقدني وعدَّني من الصقور، على تأييد قرار تشرين الأول/أكتوبر عام 2002م، الخاص بالحرب العراقية؛ القرار الذي خوَّل الرئيس جورج دبليو بوش باستخدام القوة العسكرية ضد العراق، إذا ما تطلب أمر تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي ذلك، بعد اتباع المحاولات الدبلوماسية الممكنة جميعها، كذلك راسخة الإيمان أنا بوجوب بقاء الأمم المتحدة– مهما كان الثمن– ضمانة أمن العالم، وإلا فسنواجه تكرر ما حصل لعصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى، ولطالما فكرت بأن الكونغرس اقترف خطأ فادحًا إذ أبقانا خارج العصبة، في ذلك المنعطف –أؤكد التوقيت المحدد– كنت أرى أن التفويض بعمل عسكري ضد العراق كان مبررًا.

مرة أخرى بقيت صامتة، من منطلق كونها صاحبة حق امتلاك قناعاتها، وإن لم أكن متفقة معها، لم تلاحظ هيلاري ذلك على ما بدا.

تبعًا لإيماني بأن الطبقة الوسطى تستحق شيئًا من الانفراج على النقيض من أصحاب الملايين في البلاد، اقترعت ضد حزمتي تقليص الضرائب الرئيستين اللتين روَّجهما الرئيس بوش، وفي مؤتمر عام 2000م الديمقراطي القومي، كنت قد دعوت إلى الحفاظ على فائض موازنة لتقليص الدين القومي لصالح أولادكم وأولادي.

في إحدى مناسبات جمع التبرعات في عام 2004م قلت لحشد من المتبرعين «كثيرون منكم ربما كانوا في أحوال جيدة كانت كافية لتمكينكم من الاستفادة، أما العمل على إعادة أمريكا إلى المسار الصحيح فقد يجعلنا مضطرين لقطع

الطريق على ذلك، سيتعين علينا أن نحرمكم أشياء باسم الخير العام». ربما أوجدت لنفسي عددًا كبيرًا من الأعداء بذلك الخطاب، إلا أن واجبي هو أن أدلي بصوت لصالح ما أنا مؤمنة به؛ ألا وهو الخير العام.

هنا كنت متفقة معها، غير أنني بقيت صامتة أيضًا، وبالفعل فإن سياستي أنا لم تكن شأنًا من شؤونها.

قالت هيلاري: انسجامًا مع اهتمامي بالتعليم توليت قيادة جهد مدعوم من الحزبين لتزويد الأرياف بشبكات اتصال واسعة المدى، وشاركت في رعاية قانون القرن الواحد والعشرين لبحوث علم النانو وتطويرها، ومما سرني كثيرًا أنني نجحت، مواصلة النشاط التعليمي الذي كنت قد بذلته في آركنسو، في استحداث تعديل يقضي بتمويل خلق فرص عمل لإصلاح المدارس العامة وتجديدها، وتحديثها.

أما هذا فقد تجدينه- يا دكتورة- صعب التصديق، مازلت غير مصدقة. في عام 2005م انضم إليَّ رئيس المجلس السابق غينغريتش تصورينا، نيوت (Newt) وأنا متعاونين! ذات يوم كان يتولى قيادة المعارضة الجمهورية لإدارة زوجي. أما الآن فقد بادرنا كلانا إلى تأييد اقتراح باعتماد رعاية صحية شاملة تراكمية متدرجة، وقد كان ذلك اقتراحًا عشقته استثنائيًّا! كذلك تعاونت مع زعيم الأكثرية الجمهورية في مجلس الشيوخ، بل فريست؛ دعمًا لتحديث السجلات الطبية بتكنولوجيا الحواسيب اختزالًا للأخطاء البشرية مثل خطأ قراءة الوصفات، انضممت إلى فيرست لاستصدار التشريع عندما اكتشفت أن فتاة صغيرة كانت قد ماتت جراء إعطائها وصفة غير صحيحة، أقسمت على فعل كل ما أستطيعه لمنع حصول مأساة أخرى مشابهة.

اقترعت ضد تثبيت جون روبرتس رئيسًا للمحكمة العليا في الولايات المتحدة؛ لم أقتنع بتحليه بما يكفي من الصراحة والدقة في آرائه كي أؤيد تثبيته، في اللجنة كنت أيضًا مع نحو نصف الأعضاء الديمقراطيين في معارضة ترشيح

ساموبل آليتو لعضوية هيئة المحكمة العليا، ومن ثم تثبيته جنبًا إلى جنب مع جل الأعضاء الديمقراطيين في مجلس الشيوخ، ومن على منصة مجلس الشيوخ قلت إن آليتو كان سيجهز على التقدم الحاصل، ومرة أخرى أنا سعيدة باتباعي وجداني الميثودي، وإن أدى ذلك إلى إكسابي عددًا أكبر من الأعداء.

أدليت بصوتي مرتين ضد تعديل الزواج الاتحادي الرامي إلى حظر زواج المثليين، وقد فعلت ذلك لإيماني بأن الناس جميعهم يجب أن يتمتعوا بحق حب من يشاؤون، شرط ألا يلحقوا الأذى بأي أحد، لست مع تمكين الحكومة من إملاء من ينبغي أو لا ينبغي أن أقترن به زواجًا، أردت أن يكون الجميع متساوين في الامتيازات. (قالت هيلاري بحماسة).

مع أن الجمهوريين لم يكونوا راضين عن سجلِّي، يسعدني أن أخبرك بتمتعي، لدى الناخبين النيويوركيين، باستحسان ممتاز لأدائي في مجلس الشيوخ، بنسبة قياسية بلغت في كانون الأول/ديسمبر عام 2006م ستًا وسبعين بالمئة مقابل أربع وعشرين بالمئة، هي النسبة الأعلى إلى الآن. توجهت إلى النيويوركيين بخطاب شكرتهم فيه على إعطائي ثمانية أعوام لشغل منصب أحبه، عاكفة على متابعة أمور أنا شديدة الاهتمام بها، لم أكن وحدي من دمعت عينها؛ حيثما التفتُّ، رأيت أشخاصًا ينفضون أنوفهم.

رفعت هيلاري رأسها وسألت: سجل لابأس به، أليس كذلك يا دكتورة؟

أجبتها: معك حق! بإحساس نابع من أعماقي ثم أضفت: تأثرت بعمق إذ سمعت عن مساهماتك الرائعة في خدمة أهل ولايتنا، ينبغي أن تعرفي أنني فخورة بكوني محللتك.